

خلاصة ما أدلى به الكاهن صدقة بن إسحق عام ١٩٢٤

لمجلة الزهرة الحيفاوية عن السامريين

A Summary of what the Priest Sadaqa b. Isaac
Said to Haifa's Magazine *al-Zahra* about the Samaritans

ب. حسيب شحادة
جامعة هلسنكي

الطائفة السامرية أو السامريون في العالم، الزهرة، مجلة أدبية روائية اخلاقية تاريخية فكاية، صاحبها ومديرها المسؤول جميل البحري، العدد ٥، أيلول سنة ١٩٢٤، السنة الرابعة، ص. ٢٥٨-٢٥١؛ الطائفة السامرية ٢، الزهرة ع. ٦، س. ٤، تشرين أول ١٩٢٤، ص. ٣٥١-٣٥٥، عبارة عن أسئلة وُجّهت إلى الكاهن في نابلس والأجوبة التي أرسلها للمجلة.

في ما يلي أورد النقاط الهامة في نظري، التي ذكرها الكاهن صدقة بن إسحاق (صدقة إسحق عمران سلامة غزال إسحق إبراهيم صدقة ١٨٩٤-١٩٧١) الصديق الغيور، في إطار المقابلة معه في حيفا، والمنشورة في مجلة الزهرة المذكورة. ربطت الكاهن صدقة علاقات صداقة طيبة مع شخصيات عربية كثيرة مثل الملك عبد الله الأول بن الشريف حسين بن علي ١٨٨٢-١٩٥١، وحفيده الملك حسين بن طلال ١٩٣٥-١٩٩٩، ورئيس بلدية نابلس المعين سليمان بك طوقان ١٨٩٣-١٩٥٠. أضفت بين القوسين [] تعليقات على ما ورد في المجلة وهي للصديق الكاهن عزيز بن يعقوب السامري النابلسي كما وردتني إلكترونياً في الثامن من شباط ٢٠١٩. [ورد في مستهل المقابلة بأن الكاهن صدقة المذكور كان كاهناً أعظم وهذا غير صحيح إذ أنه لم يصل إلى ذلك المنصب لأنه توفي في حياة شقيقه عمران، الكاهن الأكبر].

وردت في بداية المقابلة هذه الفقرة:

”لقد اغتتمنا فرصة وجود حضرة الصديق الكاهن صدقة بن إسحق الكاهن الاعظم للطائفة السامرية في حيفا وزيارته لنا، واستعلمنا منه عن بعض ما يجهله الكثيرون من احوال هذه الطائفة الصغيرة بعدد نفوس افرادها والتي يشيعون كثيراً انها محدودة العدد لا تنقص ولا تزيد“.

(١) تعود نشأة الطائفة السامرية إلى عهد النبي موسى، وبنسبها إلى ابني يعقوب، لاوي ويوسف. [شكلت السامرية في بداية عهدها "يوم ظهرت مملكة داود" تسعة أسباط من أصل إثني عشر سبطاً، والعدد تلاشى جراء معارك وعمليات إبادة، تهجير وتغيير الديانة بالإكراه، إلى أن وصل لمائة ونيف مع بداية القرن الحادي عشر، وقد انحدرت يومئذٍ، على الرغم من صغر عددها، من ثلاثة أسباط، ألا وهي لاوي ويوسف بالإضافة إلى سلالة بنيامين (بالميم) (الاسم اليهودي بنيامين)، وسلالة الأخير بقيت حتى نهاية القرن التاسع عشر، يوم توفت امرأة كانت آخر هذه السلالة].

٢) تسكن الطائفة السامرية مدينة نابلس (شكيم في التاريخ) منذ أمد سحيق، وفيها جبل جرزيم وتسميه الطائفة "جبل الطور" وهو قبلتها، وإليه ينتظرون عودة خيمة الاجتماع، بعد مجيء الطائب (أي التاهب/التائب، المهدي أو المسيح). ويعتقد السامريون أن هيكل سليمان وفيه تابوت العهد مدفون هناك حتى اليوم. باني الهيكل هو يشوع بن نون عند دخول بني إسرائيل الأراضي المقدسة، وبقي الهيكل أربعة قرون وستين سنة فقط، وهدمه الكاهن الأول بوقه ويدعى عزي. ولا يجوز تقديم القرابين إلا على هذا الجبل، الذي قرأ عليه يشوع بن نون البركات كما قرأ اللعنات على الجبل المقابل في الشمال، عيبال. يصل ارتفاع جرزيم إلى ٨٦٨ م وعلو عيبال ٩٣٨ م. [الكلمة طور في الآرامية السامرية تعني الجبل، وجرزيم هو الاسم التوراتي، مع العلم بأن الشريعة قد نعتته أيضاً بالاسم ١١٧٨ ١١٧٨ والكلمة ١١٧٨ تعني البلوط، فيما ١١٧٨ هي الرم أو الجبل، أي جبل البلوط، نسبة إلى مجاورته لنابلس القديمة، والمعروفة اليوم بـ (بلاطة) الذي يرجع أصل الاسم إلى البلوطة، وهي الشجرة التي اعتاد سيدنا يعقوب الاستظلال بها يوم سكن شكيم].

٣) يوجد على قمة جبل جرزيم أساس هيكل السمرة، الذي هُدم بعد تشييده بقرنين من الزمان، ويأمل السامريون في بنائه من جديد. [نواة الخلاف بين المذهب السامري عنه للمذهب اليهودي هو هيكل سليمان، الذي شيده أتباع مملكة داود في القدس، أي إذا صح الاعتقاد بأن للسامريين كان هيكلاً، أنا شخصياً أشكك في مثل هذا، لا يمكن أن ننسبه إلى ما يُسمى هيكل سليمان، والتاريخ السامري يكاد يجزم بأن السامريين لم يُشيدوا أي مقدس بعد خيمة الاجتماع التي عملها الإسرائيليون في عهد نبيهم موسى بن عمران عليه السلام، بأمرٍ من الرب. أنظر سفر الخروج ٣٥: ٤-١٩. ينفي التاريخ السامري قيام أي هيكل على قمة جبلهم المقدس، كذلك ليس هناك أي تفكير في تشييد شيئاً من هذا القبيل، سيان كان السبب لأصل الأمر بعمل خيمة العهد بأمرٍ من الرب تعالى، بهدف مناجاة سيدنا موسى عليه السلام ربه، وعبادته من الخيمة الموصوفة، كذلك إمكانات أفراد الطائفة المادية الآتية لا تكاد تكفي لعمل قطعة واحدة مهما كانت صغيرة من مركبات خيمة العهد الوارد وصف أدواته في الشريعة المقدسة].

٤) وصل عدد السامريين في الماضي القديم عشرات الألوف، ولكنه تناقص من جرّاء الاضطهادات إلى أن وصل عام ١٠٣٥ هـ أي ١٦٢٥ م إلى خمس عائلات: من يافا، من غزة، من الشام، من نابلس، من عورتا. وفي قرية عورتا، الواقعة بالقرب من نابلس دفن، بحسب اعتقاد السامريين، كل من العزيز بن هارون وأخوه مفضل وابنه المنصور، وأن ابن هذا الأخير المسمى أبو الغوث هو الذي كتب توراة السامريين؛ وهذه القرية هي موطن الكهنة السامريين الأصليين. [لا اختلاف لا بل إجماعاً، بين المذهبين السامري واليهودي، في مسألة مدافن الأنبياء والصديقين، ومن جملتهم العزيز بن هارون كذلك يوسف بن يعقوب - عليهم جميعاً السلام - فالعزيز كما جاء في مقاتلهم مدفون في عورتا المجاورة لنابلس، أما يوسف فمدفون في بلاطة، وسبق أن ذكرت عاليه بأن بلاطة

هي نابلس القديمة. يُفضل تدوين الأسماء كما وردت دون حاجة لترجمتها إلى العربية، كلها أو جزءاً منها، فالاسم العزيز ذكر كما هو، علماً بأن الترجمة للعزيز هي عبد المعين، إذن تعال بنا نسردهم بأسمائهم العبرية ليصبحوا: العزيز وإيتامار وفينحاس. 1718 אביתוש لا ابيشوع لم يكتب توراة السامريين، إنما هو من نسخ أقدم مخطوطة (توراة) على وجه المعمورة، والتي يحتفظ بها السامريين، وهي الدالة الأكبر على صحة العلاقة بين الديانة الإسرائيلية وجبل جرزيم].

(٥) بلغ عدد السامريين في العام ١٩٢٤، ١٧٤ نفساً وهم فئتان: الكهنة والجماعة (الشعب) [اعتاد السامريون استخدام الألقاب: الكهنة والعامّة]، ويرجع الكهنة بالنسب إلى هارون من سبط لاوي بن يعقوب، وعددهم ١٨ ذكراً من ابن سنة فصاعداً؛ الكاهن الأعظم أونتها كان إسحق (بن عمران) وله من العمر ٧٢ (أي أنه وُلد عام ١٨٥٢ وليس عام ١٨٥٥ كما يرد في بعض المصادر، كهانته من ١٩١٧ إلى وفاته عام ١٩٣٢، ح. ش.) وخلف من الصبيان اثنين أحدهما "صديقنا صدقة المنوه عنه في رأس هذا المقال". يسكن كل السامريين في مدينة نابلس باستثناء ثلاث عائلات، اثنتان في يافا وواحدة في طولكرم.

(٦) الرئاسة الدينية مقتصرة على الكهنة وتعود إلى الأرشد منهم.

(٧) انقطع نسل الكهنة لمئة سنة خلت وبقي طفل واحد عمره أحد عشر شهراً وظلت الطائفة السامرية بدون كهنة مدة ١٤ سنة إلى أن كبر الصبي .

(٨) يعتاش الكهنة ممّا يتلقون من مساعدات، ومن أعمالهم الخصوصية كباقي الناس.

(٩) الشعب أو فئة الجماعة ويعود النسب إلى ابني يوسف، منسى وإفرايم، والباقون ينسبون إلى سبط منسى. [هكذا في الأصل].

(١٠) عقيدة السامريين مكوّنة من خمسة بنود:

- أ) الله واحد لا شريك له (يُلفظ شيما Šēma أي: الاسم، ح. ش.).
- ب) موسى نبي مرسل ولا نبي بعده [ليتكّم تدونونها – ولا نبي بعد في إسرائيل مثل موسى، استناداً إلى آخر سورة في الشريعة المقدسة، سفر التثنية ٣٤: ١٠-١٢]. يعتقد السامريون بأن يشوع بن نون ولي صالح ونبي أيضاً، ولكن ليس كموسى، ونبوّته لم تستمر بعد وفاته لأن السامريين لا يؤمنون بأي شخص يدّعي النبوة بعد موسى.
- ت التوراة، خمسة أسفار موسى، هي الكتاب الوحيد المنزل.
- ث) جبل جرزيم هو القبلة.

ج) الإيمان باليوم الأخير والدينونة. يؤمن السامري بالجنة وبجهنم، فالأولى لكل صالح والثانية تكون من نصيب كل عاصٍ والله أعلم. كما يعتقد السامريون بوجود الملائكة. [صحيح هو إيمان السامري بيوم الحساب والعقاب، إلا أن مسألة الجنة و جهنم غير مجزومين تماماً، وإن تصور البعض مسائل العقاب الموصوفة، هذا لا يعدوا جراً تأثرهم من المعتقدات المحيطة، فلا وصفاً تشريعياً (توراتياً) لشكل العقاب أو مسميته].

(١١) أعياد السامريين ثلاثة:

أ) عيد الفصح [الأصح هو عيد الفصح (بالسين) وأصل التسمية الفسحة أي الفرصة، وترمز إلى التحرر من نير العبودية الفرعونية، مع أن الفصح بحد ذاته هو أمسية ذبيح الفصح وصلاة غداته الصباحية، ليبدأ فوراً عيد الفطير، والذي يتناول السامري خلال أيامه الفطير طيلة سبعة أيام تلت الفصح، ولا يأكل أية خوامر؛ سفر الخروج ٢٣: ١٥-١٩] ويحلُّ بذات تاريخ فصح اليهود [الأصح بذات الفترة وليس التاريخ، إذ نادراً ما يصادف الفصح السامري بذات تاريخ نظيره اليهودي، وقد يكون الفرق يوماً واحداً أحياناً يومين، وفي السنوات الكبيسة، شهراً كاملاً]. كل سنتين متتابعتين، ويفرقون عنه شهراً واحداً في السنة الثالثة.

تُحْر سبعة خراف عند مغيب الشمس على جبل جرزيم، ليلة العيد في الخامس عشر من الشهر القمري [الأصح في الرابع عشر من الشهر القمري: سفر الخروج ١٢: ١-١٢]، المصادف في نيسان. وعلى السامري أن يتزَّزّر، يحمل عصاه ويتناول اللحم المشوي بسرعة، كأنه على سفر ويحظر على غير السامري مسّ الذبيحة. يتوافد القوم من أماكن شتى لمشاهدة هذا الاحتفال الديني، وقد يصل عدد الزوّار إلى الألوف الكثيرة.

ب) عيد مناجاة موسى ونزول التوراة (العنصرة). [هو عيد שבועות أو الخماسين، إشارة إلى تاريخه غداة السبت السابع لسبت عيد الفطير، أي اليوم الخمسين، أو الحصاد קציר، فالأعياد موسمية وهذا العيد موعده مع أوج الصيف، سفر اللاويين ٢٣: ١٥-٢٧ ولا يوجد في القاموس السامري ما يُسمى بالعنصرة، حتى لو تناقلت بعد السنة أبناء الطائفة].

ت) عيد الكفارة او المظال (العرش)، ذكرى عامود الغمام، الذي ظلل بني إسرائيل عند خروجهم من مصر. [الكفارة، أظنها ترمز إلى כיפור أي يوم الغفران، سفر اللاويين ١٦: ٢٩-٣٤ وهو يوم صيام وعبادة يسبق عيد العرش/المظال بخمسة أيام، أي بالعاشر من الشهر السابع، فيما العرش/المظال في الخامس عشر من الشهر ذاته، مع العلم بأن لقب الشهر السابع الشرعي (التوراتي) שבועות החדש أي عيد الشهر السابع، فالأول منه عيد استهلال الشهر، والعاشر منه غفراناً، والخامس عشر عيد مظال، والثاني والعشرين عيد الاعتكاف/الجمهرة שמנין לצאת والذي يسمون اليهود نظيره בשמחת תורה أي فرحة التوراة، حيث استهلالهم قراءة فصول التوراة المقسمة على أيام السبت طيلة السنة. [سفر اللاويين ٢٣-٢٣ إلخ].

١٢) هنالك في نابلس معبد واحد للسامريين يُدعى "كنيسة أو مجمع"، وفيه التوراة القديمة وكتب دينية أخرى وكلها مخطوطة. [الكلمة كنيسة، بالتأكيد تعلمون مُستخدمة باللغة العربية، وإن كانت التسمية لا تليق بدور العبادة، فالفعل كنس الشيء أي جمعه، كذلك الاسم مكنسة أي مُجمعة، فالمعنى الحرفي للاسم كنيسة هو جامع. صحيح في عهد الكاهن صدقة المذكور في مقدمة مقاتكم كانت للسامريين كنيسة واحدة في نابلس، مع العلم بأن الكثير من الكنائس السامرية في مدينة نابلس قد سبق لسكان المدينة تحويلها إلى جوامع إسلامية، منها ما هو قائم حتى اليوم، مثلاً على هذا هو المعروف بالاسم جامع الخضراء، علماً بأن للسامريين في يومنا هذا خمسة كنائس، واحدة في نابلس، إثنان على قمة جبل جرزيم وإثنتان في الحي السامري بمدينة حولون الإسرائيلية والمجاورة لتل أبيب].

١٣) فرائض السامري الدينية تضمّ الصلاة والحج والصوم والزكاة. وتجري الصلاة مرتين يومياً، صباحاً ومساءً وصلاة السبت مختلفة؛ وهناك ركوع وسجود ووضوء وطهارة بكلّ دقة. والصلاة واجبة على الرجال والنساء وأفضلها في الكنيسة، وهناك فصل بين الجنسين. يصوم كل سامري، كبيراً كان أم صغيراً (باستثناء الرضيع) يوماً واحداً في السنة، من الغروب إلى الغروب، في العاشر من الشهر السابع. هنالك حجّ ثلاث مرّات في السنة، في عيد الفصح وعيد العنصرة وعيد المظال، ومن شروط الحجّ الطهارة والطواف (لا بدّ من التنويه بأن السؤال: ما هي الزكاة المفروضة وهل تقومون بها ونحو من، بقي بلا إجابة، سهواً على ما يبدو، ح. ش.). تتمّ ختانة السامري في اليوم الثامن بعد الولادة، وهي فرض قطعي ومن لا يُختن يُقتل.

١٤) للسامريين مدرسة ابتدائية واحدة، يتعلّمون فيها العبرانية القديمة والعبرانية الحديثة أي لغة اليهود، المعروفة اليوم ولغة البلاد العربية. لغة السامري هي العبرانية القديمة، لغة موسى وبها كُتبت التوراة وسائر الآثار الدينية والصلوات، أمّا لغتهم المحكية فهي عربية البلاد (صدقة علم العربية بحسب كتاب مدارج، والحساب، ح. ش.).

١٥) كلّ كُتب السامريين مخطوطة، ولا شيء مطبوعاً عندهم، ومنها التوراة وتفسير عليها وكتب فقهية وصلوات وتاريخ. من بين التوراوات هنالك توراة مدوّنة على جلد غنم بقلم ابيشوع بن فنحاس بن لعازر بن هارون، أخي موسى بعد وفاة هذا الأخير بـ ١٣ سنة (؟، هكذا في الأصل) أي من مدة ٣٥٨٤ سنة تقريباً.

١٦) لباس السامري كلباس محيطه، رداء عادي (غبناز) وفوقه الجبة العربية [مع احترام لروح الكاهن، إنما أصل ارتداء الجبة يعود للكاهن الأول ألا وهو سيدنا هارون عليه السلام، وصفها جاء في الشريعة المقدسة (أنظر سفر الخروج ٢٨: ٦-١٤، ح. ش.) أو الجاكيث الإفرنجية، وعلى الرأس الطربوش أو العمامة. الشريعة السامرية تقضي بارتداء العمامة البيضاء يوم السبت والحرراء في اليوم العادي، وهنالك من لا يلبس العمامة. [لا لونا مُحدداً للعمّة أو القلنسوة التي

يرتديها الكاهن، وقد اعتاد الكهنة سابقاً ارتدائها بيضاء ناصعة، طيلة أيام السنة، إلى أن جاءت فترة الحكم العثماني، يومئذٍ ادعى أحد السلاطنة بأن بعض المسلمين يختلط عليهم الأمر بين الكاهن السامري والشيخ المسلم، فكلاهما يعتم اللون الأبيض، وأمر السامريين - يومها - باستبدال الأبيض بالأحمر، وقد وافق السامريون مُكرهين على الاعتماد باللون الأحمر، على الرغم من علمهم بأن اللون يرمز - يومئذٍ - إلى أتباع عبادة الشيطان، لذلك أبقوا اللون الأبيض عملاً لأيام السبت والمناسبات الدينية الأخرى]. كل السامريين وبشكل خاص الكهنة، يربون شعر الرأس واللحية. تلبس النساء بحسب المحيط الإسلامي، الحجاب شرعي وهناك تساهل به أمام السمرة، وبعض الطوائف التي لا ترتدي الحجاب.

(١٧) يتزوج السامريون في ما بينهم، ويجوز للذكور لا الإناث، الزواج من غير دينهم شريطة أن تتسمرن الفتاة، وهذا هو السبب في قلة عددهم. هنالك نقص في الفتيات في سن الزواج والغرباء لا يعطون السامريين بناتهم، ولذلك نرى العُزب طول حياتهم. عند ولادة بنت في الطائفة السامرية، يتسابقون لخطبتها وهي في المهده، فيربونها صغيرة، وتكبر على اسم خاطبها. لا يحق للسامري الاقتران إلا بامرأة واحدة، وإذا كانت عاقراً فيجوز له التزوج من ثانية فقط. لا يتم الطلاق إلا بعلّة شرعية.

(١٨) كل شيء مباح أكله عند السمرة إلا اللحم واللبن معا (هذا غير دقيق كما يعلم الكثيرون وينظر لاحقا، ح. ش.). والجدير بالذكر أن سؤالاً بهذا الصدد قد ورد ونصّه "هل يجوز أكل كل الأطعمة عندكم؟ وهل تفرقون بين الكاشير والطريف وما الفرق؟" (ص. ٣٥٤) وجاء الجواب "لا يجوز اكل الماكل كلها ويوجد عندنا كاشير وطريف والبحث بهذا المعنى شرحه يطول".

(١٩) الأسئلة الثلاثة الأخيرة التالية بقيت بدون إجابة لضيق الوقت وطول الإجابة: انقسام مملكة إسرائيل على يد يرحبعام ويربعام، بعد موت الملك سليمان، وتكوين رحبعام مملكة إسرائيل من عشرة أسباط؛ ماذا تقولون عن اكتساح سلطنة إسرائيل، ونقل سكانها إلى بلاد الرافدين؟ ما قولكم بسبي بابل على مملكة يهوذا؟ ردّ الكاهن صدقة على هذه الأسئلة بقوله "سأتشرف بلقاءكم قريباً ان شاء الله وافسر لكم كل امر بمفرده لان نطاق الوقت ضيق الآن وهذا البحث يتطلب على الأقل عدداً خاصاً من اعداد الزهرة. هذا وفي الختام سيدي الوالد يقدم لحضرتكم سلامه الخاص لكم الخ. اه".

ورد المحرر، على ما يبدو، جميل البحري بهذه الكلمات:

"هذا ما وافانا به الصديق النشيط الكاهن صدقة واننا لفي انتظار تشريفه او كلمة منه تكون جوابا كافيا على الاسئلة الثلاثة الاخيرة لننشره على صفحات الزهرة واملنا انه لن يرضن به علينا خدمة للتاريخ فنكرر له الشكر الحميم باسمنا واسم قراء الزهرة عامة".

لا أدري في ما إذا تحققت أمنية مدير التحرير أم لا، فالأمر بحاجة لمزيد من البحث والتنقيب في مجلة الزهرة نصف الشهرية التي بدأت في الصدور في الأوّل من أيّار عام ١٩٢٢ واستمرّت حتى عام ١٩٣٠، عام قتل الأديب جميل البحري ١٨٩٨-١٩٣٠، الملقّب بأبي المسرح فقد كتب قرابة اثنتي عشرة مسرحية. في البداية أصدر البحري مجلة اسمها "زهرة الجميل" في أوّل أيّار عام ١٩٢١. ثم تحوّلت في العام التالي وسمّيت باسم "الزهرة" (حول الصحف والمجلات في فلسطين أنظر: http://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4397).